استغلال علاقاتها بالصهيونيين كعامل لتحقيق مآربها ، فكانت كل فكرة تولد في لندن توضع محل اختبارات مسبقا في واشنطن ، كما كان كل اقتراح يصدر في واشنطن يلقى اهتماما بالغا في لندن ... كما ان النتائج الحاسمة للمباحثات البريطانية الصهيونية تدين بوجودها بشكل او آخر الى عناية الرئيس الامريكي ويلسون — بالشؤون الصهيونية. فقد كانت اللجنة التنفيذية المؤقتة للشؤون الصهيونية العامة قد جذبت انتباه الرئيس ويلسون — وكانت قد شكلت في نيويورك في ١٤ أغسطس سنة ١٩١٤ برئاسة براندیس . ويذكر فيليب جريفاز في كتابه : « فلسطين أرض العقائد الثلاث » ان عطف الرئيس ويلسون على الاهداف الصهيونية أثر على كل من الحكومتين الفرنسية والايطالية اللتين كانتا حتى ذلك الوقت لا تبديان عطفا على الحركة الصهيونية . وأدى الى تضامن هاتين الحكومتين مرحليا مع الحكومة البريطانية بهذا الشأن » .

وتكاد الليلة تشبه البارحة ، بل وتماثلها ، طالما ان المصالح الاساسية للقوى الاساسية التي رسمت صورة البارحة لا تزال هي التي ترسم صورة الليلة !

ولعل ذلك يبدو أوضح ما يكون في دور أمريكا في التكوين العسكري الصهيوني خلال سنوات الحرب العالمية الاولى ، ويتلخص هذا الدور أساسا في عبارة واحدة يوردها المؤلف [ القسم الثاني ص ٢٨٠ ] : « .. ان الصهيونيين الامريكيين أظهروا صراحة ان الغرض من التكوين العسكري اليهودي تكوين نواة لجيش الدولة اليهودية المرتقبة ، بعكس اليهود البريطانيين الذين أظهروا مجرد الاستعداد للاشتراك في التحرير ، وأخفوا الاتجاه الى ترك المجندين اليهود في فلسطين بعد طرد الترك منها » .

وبالطبع ، فان بعض الملاحظات التي تؤخذ على هذه الدراسة والتي ذكرت أهمها ، لا تقلل بأي حال من القيمة العلمية والعملية لكتاب الاستاذ رؤوف سليم ، الذي أستطيع أن أزعم أنه من أفضل ما كتب باللغة العربية حتى الآن عن هذا الموضوع . ويجب أن يشار هنا ، ويشاد أيضا ، بالدور الذي لعبه مركز الابحاث الفلسطينية ومؤسسة الدراسات في توفير المصادر لهذه الدراسة ، التي لم تكن لترقى الى المستوى الذي صدرت به بدون هذه المساعدة ، حيث أن القاهرة لا تزال تعاني حتى الآن — وبكل أسف — نقصا في المراجع الاصلية عن الحركة الصهيونية ، وجذور القضية الفلسطينية ، فضلا عن سوء الخدمات المكتبية ، اذا توافرت الكتب ، بحيث اصبح أي باحث مصري جاد لا يملك الا أن يشفق بأظافره في الصخر .

وقد أشار الكاتب الى ذلك في المقدمة ، وأشار الى قضية يجب ان توضع تحت انظار الباحثين ، وهي احتفاظ الامانة العامة لجامعة الدول العربية بصورة فوتوغرافية من وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، التي افرج عنها بعد مرور خمسين عاما على تحريرها . ويقول المؤلف ( القسم الاول ص ٩ ) انه لم يتمكن من الاطلاع على هذه الوثائق « الا بعد توسط الاستاذ الدكتور احمد عزت عبد الكريم ( المشرف على الرسالة ) لدى الدكتور سيد نوفل الامين المساعد لجامعة الدول العربية » . الى هذا الحد ، أصبح الاطلاع على وثائق بريطانية مصورة يحتاج الى وساطة ، واين في جامعة الدول العربية وبخصوص قضية نردد كثيرا أنها قضية العرب الاولى . وأبسط الواجبات نحو قضية هذه مكانتها ، ان تتاح وثائقها وكتبها وصحفها وجميع مصادرها لكل الباحثين الجادين ، بدون عوائق او قيود روتينية .

وما دمنا بصدد الحديث عن المصادر والوثائق ، فان هناك أكثر من ملاحظة حول الوثائق التي ألحقها المؤلف بدراسته . وأهم ملاحظة بهذا الخصوص هي ان الكاتب لم يستثمر الوثائق بشكل كامل في صلب الدراسة ، بحيث أصبحت الوثائق وكأنها — رغم أهميتها — مجرد ملحق اضافي للدراسة . مع ان دور الوثائق في مثل هذه الحالة ليس كذلك . وقد أحسن الاستاذ عبد الرؤوف سليم صنعا حين قدم لكل وثيقة ، وحاول ان يستخلص أهم ما فيها ، ولكن أين صدى هذه الوثائق في صلب الرسالة او في « متنها » على حد تعبير الاقدمين ؟ ان الوثيقة تضاف لاي دراسة من أجل اثبات وجهة نظر جديدة مخالفة لما سبق الاخذ به ، او اضافة شيء جديد لم يسبق لاحد الاخذ به ، او انها تلقي أضواء جديدة على وجهة نظر معروفة.